

المبحث الأول
شبهات المستشرقين حول الجهاد

obeikandi.com

المطلب الأول تصوير الشبهة

عن عمد أو سوء فهم، وكما هى ركيزة من ركائز منهج المستشرقين فى كتابتهم عن الإسلام، حاولوا إثارة الشبهات حول الجهاد فى الإسلام ضمن حملة التشويه التى يشنونها على الإسلام فى قضاياها الذاتية وما تمخض عنها من قضايا فكرية، ونظم سياسية، وحسبنا هنا أن نتناول هذه الشبهة التى أثاروها حول قضايا الإسلام الذاتية أو الأصلية التى تصل إلى درجة الغرض، بقطع النظر عما إذا كان كفايًّا أو عيناً.

بيان خطورة هذه الشبهة:

وتكمن خطورة هذه الشبهة فى أمرين:

الأمر الأول: خطورتها من ناحية الموضوع.

الأمر الثانى: خطورتها من ناحية المنهج.

أولاً: خطورتها من ناحية الموضوع:

تكمن خطورة هذه الشبهة من ناحية الموضوع فى أنها تتمحور حول ثلاثة محاور لكها تطعن فى الإسلام، وتثير الشبهات حول واحدة من أهم قضاياها:

المحور الأول: أن الإسلام انتشر بالسيف وليس بالدعوة عن طريق الحوار والإقناع!!! وأن الإسلام أجبر الناس على الدخول فيه بالإكراه والإلجاء والفرص!!

المحور الثاني: أن الإسلام نظم حملات الإغارة واللصوصية والنهب التي تشيع بها العرب في جاهليتهم ونقلها من الصعيد الفردى إلى الصعيد الجماعى، بحيث يسم الأمة الإسلامية بهذه السمات التي لا ينفك عنها - في نظره - فرد من أفرادها!!! وبحيث يضمن على هذه الجرائم لونا من الشرعية لتأخذ صفة التقرير والتنظيم!!!

المحور الثالث: تتمحور هذه الشبهة أيضًا حول أن الإسلام جعل السيف الأساس الذى قامت عليه دولته، فالدولة الإسلامية فى نظر هؤلاء المستشرقين قامت على هذا الأساس لا غير، كما يوحى تعبيرهم عن هذا ظاهرًا وباطنًا.

هذا وتتمحض خطورة هذه الشبهة فى أنها تركز وبحسم على تفريغ الجهاد الإسلامى من صبغته الدينية، وتركز على صبغه بالصبغة السياسية التى تجعل منه وسيلة للهيمنة والتسلط والاستبداد والقمع، وهم بهذا يشيرون إلى أن الدولة الإسلامية قامت على أساس سياسى وليست على أساس دينى، وأنها تركز على سياسات التوسع والقهر والتجريد، كما هو الحال فى الممالك والإمبراطوريات التى قامت قبل الإسلام، وظلت بعد قيامه إلى أن صار قفول نجمها على يد رجاله المخلصين الصادقين البواسل.

وكل هذه مزاعم واهية تتداعى أمام النظر العقلى السليم، ولا تصمد أمام النقد العلمى السديد.

وسوف يتضح هذا بمشيئة الله تعالى من خلال تفنيد الشبهة.

وأرى أنه من الموضوعية والأمانة العلمية أن أسوق هنا أقوال المستشرقين فى هذا الصدد، والتى حاولوا من خلالها أن يثيروا هذه الشبهة حول الإسلام، سواء أكان عن طريق التضمين أو التصريح، وباستخدام أسلوب التلويح أو التصريح من خلال حديثهم عن الأسس التى قامت عليها الدولة الإسلامية، ولكن بعد بيان خطورة الشبهة من ناحية المنهج.

ثانياً: خطورتها من ناحية المنهج:

أما خطورتها من ناحية المنهج، فتتمثل في أن المستشرقين يعتمدون منهجاً غير موضوعي، يتجرد من المنهجية والعلمية، ويعتمدون على الافتراضات، وتقديم النتائج على المقدمات، والأحكام على الأدلة، واعتماد سياسة التوجيه المغرض لخدمة أفكار مسبقة عن الإسلام تندفع كلها بالتحكم وعدم النزاهة في البحث، واقتفاء الاستثناء والشاذ والضعيف والموضوع، وتقديم الإسلام من خلال تصوراتهم وليس من خلال مصادره الصافية ومنابعه الإلهية العذبة، معتمدين بالإضافة إلى ذلك على منهج المقارنة المغرضة والقياسات الفاسدة.

تأصيل الشبهة من الوسط الاستشراقي:

لا مرية أن التأصيل لهذه الشبهة من الوسط الاستشراقي يعكس بوضوح وجلاء المقصد الذي يقصده المستشرقون وراء إثارتها حول الإسلام، كما تعكس آراؤهم في هذا الصدد مدى العداء الذي يكنونه للإسلام والذي يبدو من خلال أقوالهم هذه.

يقول المستشرق سيديو:

(إن المسلمين أصحاب عقيدة ولكنهم توسلوا بالتعصب الأعمى، وأخضعوا الناس لمبادئهم بالقهر والإرغام، وخاضوا إلى ذلك بحار الدم والقسوة، وإنهم كانوا يحملون القرآن بإحدى يديهم، والسيوف باليد الأخرى)^(١).

وقال مستشرق آخر:

(كان من الضروري لدوام الإسلام أن يستمر في خطته العدوانية وأن ينفذ بحد

(١) تاريخ العرب العام: سيديو ل م، ترجمة عادل زعير ص ١٣٣، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط (٢) ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.

السيف ما يطالب به من دخول الناس في الإسلام كافة أو بسط سيطرته العالمية على الأقل^(١).

ويقارن فان فلوتن بين انتشار الإسلام وبين انتشار النصرانية، وإن كانت المقارنة ظالمة لافتقادها عنصر الموضوعية، فيقول:

(هناك فرق عظيم بين انتشار المسيحية وانتشار الإسلام، فقد انتشرت المسيحية انتشاراً وئيداً وسط وابل من الاضطهادات والآلام، كما يدل على ذلك ما أثر عن عيسى عليه السلام من تلك الكلمات: "إن مملكتي ليست من هذا العالم".

وقد استطاعت المسيحية أن تحتفظ بطابعها على الرغم من انسيابها قروناً عدة بين شعوب مختلفة ومدنيات راقية.

أما الإسلام فكان - والقول لفان فلوتن - على العكس من ذلك فإن محمداً عليه السلام لم يلبث أن أصبح له نفوذ روحى وزمنى عظيم بعد سنين قلائل من الجهاد والاضطهاد، كما يدل على ذلك غير آية من القرآن، وذلك بتحول أهل المدينة إلى الإسلام.

وقد أصبح الإسلام بفضل ذلك النفوذ الذى كان يتمتع به الرسول ديناً قوياً قام بحد السيف وانتشر بين الشعوب عن طريق الإنذار والوعيد، ولم يكن اعتناق أهل جزيرة العرب للإسلام، أو بالأحرى خضوعهم له نتيجة دعاية سلمية وادعة...^(٢).

وإلى هذه الشبهة أشارت المستشرقة كارين أرمسترونج، وذكرت عدة تصورات

(١) نقلاً عن دواعى الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين: د. جميل المصرى، ص ٤٠ دار القلم، ط الدار الشامية. دمشق بيروت، ط (١) ١٤١١هـ / ١٩٩١ م.

(٢) السيادة العربية لفان فلوتن، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن ود. محمد زكى إبراهيم، ص ٥ وما بعدها، مكتبة النهضة المصرية، ط (٢) ١٩٦٥ م.

سادت فى الأوساط الغربفة عن الإسلام تجسد هذه الشبهة، وإن كان ذلك فى معرض النقد لا فى موطن التأصيل^(١).

ولعله قد اتضح من خلال هذه النصوص الاستشراقفة مدى خطورة الشبهة على قضية الجهاد فى الإسلام وعلى طرفة انتشار الدين الإسلامى الذى يرفع شعار السلام، بل الذى يجعل من السلام أصلاً لتنظيم اجتماعى متميز.

(١) سيرة النبى محمد ﷺ، تأليف كارين أرمسترونج، ترجمة د. فاطمة نصر، ود. محمد عنانى، كتاب سطور (١) دار اللواء للطباعة ط (٢) ١٩٩٨، وسوف ترد فىها بعد بأقوال بعض المستشرقين على أقوال المثبرين منهم للشبهات.